من مفكرة القرن الرابع عشر الهجري

سنعرض من خلال هذه الزاوية التي اسميناها : من مفكرة القرن الرابع عشر الهجري ، لأهم الأحداث التاريخية التي مرت بامتنا خلال القرن الماضي ، والتي تركت اثارها على حياتها ، وبصماتها على نفوسنا .

ونحب ان يكون واضحا من البداية اننا هنا لسنا بسبيل إعادة شريط الأحداث والاكتفاء بالتسجيل لها فقط ، لأن هذا متوفر وموجود في مظانه من كتب التاريخ وغيرها ، وإنما نحاول قراءة هذه الأحداث قراءة إسلامية ما امكن لنا ذلك والأخذ بيد القارىء إلى ما كان من السلبيات والتعرف عليها للمساهمة ـ بقدر المستطاع ـ في معالجتها وإيقافها ، والأمور الايجابية لالتزامها ومتابعتها ، ذلك ان حياة الأمة إنما هي عبارة عن حلقات يمسك بعضها ببعض ، وكل حلقة مرتبطة باخرى ، ومؤثرة فيها بصورة او باخرى .

وبهذه المناسبة نرجو من اصحاب القلوب الواعية ، والبصائر النافذة ، والعقول الناضجة ، والابجدية الاسلامية ان يقراوا معنا ، وان يساهموا بالكتابة إلينا ، علنا نساهم مع غيرنا بوضع معالم لطريق الجيل المسلم مستقبلا .

«إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد» .

● بدا القرن الرابع عشر الهجري بالاحتلال الانجليزي لمصر ، تحت ستار حماية المصالح الأجنبية والاقليات ، بعد أن تمكنوا من الانتصار على المدافعين عن البلاد في معركة التل الكبير في شهر أيلول ـ سبتمبر ـ ١٨٨٢م . (اواخر ١٣٠٠هـ . وبداية عام ١٣٠١ هـ)

وكان الذي مهد لهذا الاحتلال :

(١) سياسة التفرنج التي انتجتها القابلية للاستعمار ، والتي اتبعها بشكل خاص الخديوي سعيد ثم اسماعيل ، وما نتج عنها من تدفق كبير للأجانب ، من الانكليز والفرنسيين وبعض الايطاليين واليونان إلى مصر ، وما تبع ذلك من امتيازات لهؤلاء (اصبح لهم سبع عشرة محكمة قنصلية ، تتبع سبع عشرة دولة ، وتطبق سبعة عشر قانونا) انزلت أفدح الظلم باصحاب البلاد من المسلمين .

ثم ادى هذا الى إنشاء المحاكم المختلطة ، وتعطيل العمل بقوانين البلاد (الشريعة الاسلامية) والاخذ بالقوانين الوضعية الأجنبية ، وخاصة القانون المدني الفرنسي .

(٢) سياسة التبذير والسفه والاسراف التي اتبعها هؤلاء واوقعت البلاد في عجز دائم ، نتيجة قروض عقدت مع الانكليز والفرنسيين .

(٣) الغزو الفكري الذي تعرض له المسلمون في مصر منذ فترة مبكرة ، وذلك لما لها من مكانة يومها ، وخاصة لوجود الأزهر الشريف فيها ، ومجيء الكثير من نصارى المشرق العربي ، وبتشجيع من فرنسا وانجلترا ، إليها مهاجرين من بلاد الشام ، وخاصة لبنان ، بحجة تعرضهم للاضطهاد من الدولة العثمانية ، وعدم السماح لهم بحرية التعبير والفكر ، حيث قاموا بتاسيس دور النشر والطباعة مثل : دار الأهرام ، ودار الهلال وغيرها ، واصدروا العديد من المجلات والصحف التي اخذت على عاتقها مهاجمة الدولة العثمانية ، وكانت الغاية من هذا الهجوم طعن الاسلام .

كان هذا الاحتلال قبل سقوط الخلافة بحوالي خمس وثلاثين سنة ـ ثم خلالها تكوين جبل في هذا المناخ ـ على يد يهود الدونمة والتمكين لهم لاقامة دولة اسرائيل في قلب العالم الاسلامي ... فهل عاد التركيز على القطر الشقيق من جديد ؟!

● **وفي عام ١٣٠١ هـ ـ ١٨٨٣ م تمكن المهدي في السودان من ايقاع الهزيمة بالقوات الموالية للانجليز والتي يقودها الضابط الانجليزي «هيكس» في موقعة شيكان شرقي الابيض ، وتمكن بانتصاره من إبادة الحملة إبادة تكاد تكون تامة إذ لم ينج من الآلاف العشرة سوى ثمانمائة لم يكن هيكس وجميع ضباطه منهم .**

والمهدي هو : محمد أحمد بن عبد الله الحاج شريف ، اشتهر بالزهد والتقوى والتواضع حتى قال فيه شيخه : (ما رأيته يصلي إلا ويسيل وجهه بالدموع) دعا المسلمين للعودة الى روح الاسلام والتزام عدالته ، لذا قام بمحاربة الظلم واهله ممثلا في البداية بنظام الحكمدارية الذي اقيم في عهد الخديوية ، ثم بالانجليز ومن والاهم بعد استعمارهم لمصر .

اقبلت وفود المسلمين بالسودان عليه تبايعه **(فقد بايعنا الله ورسوله ، وبايعناك على توحيد الله والا نشرك به احدا ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نأتي بهتانا ، ولا نعصيك في معروف ، بايعناك على زهد الدنيا وتركها ، والرضا بما عند الله والآخرة ، وعلى الا نفر من الجهاد أبدا) .**

حاولت انجلترا شراءه ، فارسلت اليه كتابا تجعله فيه ملكا على منطقة كردفان ، مع هدية نفيسة . فرد المهدي الهدية واجاب : **إنني لم اقم بالثورة طلبا لمغنم دنيوي من مال او جاه او سلطة** ، وبين أنه قام لله ، وطلب من ممثل انجلترا وقتها «غوردون» الدخول في الاسلام

تعرض لحملة تشويه ظالمة من صرعى الغزو الفكري المصبوغين بالحضارة الغربية ومن الكتاب الانجليز انفسهم ، حيث وصفوه ، بأنه قاطع طريق ، ومصاص دماء وغير ذلك ... ولايزال التاريخ يعيد نفسه ، وهذه حال كل من حاول التمرد على أوامر المستعمرين .

توفي رحمه الله عام ١٣٠٣ هـ . بعد أن قتل غوردون واحتل ام درمان واتخذها عاصمة له . وبعد أن اصبح السودان باكمله تحت سيطرته .